على الجرائم وتمكنت منهم يجب ابعادهم الى جزائر في البحر ومنهم من التزوج ليزول عن النساس شرهم وينقطع نسلهم الذي يرث منهم الاستعداد لمفاسدهم . ولكن اذا كان امراء المسلمين هم الذين يعلمونهم السكر ويدعونهم اليه كما هو معلوم الآن من اكثرهم فمن الذي يمنع هذه المنكرات « ما يصلح الملح اذا الملح فسد » ؟

(الثالث) لم ينقل ان احداً انكر على سعد رضي الله عنه تركه حده او عزمه على ذلك وهذا يدلنا على أنهم كانوا يرون ان العقوبة على الخمر من التعزيرات كما تقدم وهذه مفوضة الى رأي الحاكم بالنسبة الى الافراد واما التقدير لها فهو من وظائف الامام التي يقررها بمشاورة اهل الرأي كما فعل عمر رضي الله عنه . وتقدم ان الفقهاء أقروا ماقدره عمر وجعلوه حداً ثابتاً لايزيد ولا ينقص .

باب التربية والتعليم

﴿ تعليم التاريخ الطبيعي بتمثيل الفانوس السحري (*) ﴾

(المكتوب ٣٦) من هيلانه الى اراسم في ٢ نوفمبر سنة — ١٨٦

فرغت من إقامة معهد التمثيل الصغير الذي كنت حدثتك عنه في بعض مكاتيبي السابقة ولي أن أقول ولا فخر انه ناجح مؤدٍّ الى الغاية المقصودة

استحضر لي الدكتور وارنجتون من لوندرة فانوساً سحرياً وهو آلة جميلة معدة لان تجلى فيها المناظر المتعاقبة بواسطة الضوء واللون ومن خواصها انها تكبر مايمثل فيها من الاشياء تكبيراً في غاية المناسبة وترسم على حجابها الذي هو من القماش صوراً لا يمكن ان يرى أظهر ولا أوضح منها لذلك تراني قد قمت بما أخذته على نفسي من رسم معظم الصور وتلوينها على زجاجها مختبرة ما يكون للوهم من الأثر في النفس عند النظر اليها وقد بدا لي أيضاً أن من المفيد ان أولف بين ماتمثله هذه الآلة من المشاهد المختلفة بتنسيقها وجعلها على شكل قصة وجيزة تجعل التمثيل مرتباً متواصل الأطراف يستميل النفوس ويهيج الانظار . ولما انتهيت من هذا العمل

(*) معرب كتاب اميل القرن التاسع عشر في فن التربية من باب الولد

دعوت الى المعهد في الشتاء الماضي عشرين طفلا من الولدان والولائد مخالفة في ذلك سنة الكومتيس ديسكاريناياس فانها كانت تشخص في بيتها القصص الهزلية وتأمر بوابها بأن لايدخل أحداً وسبب هذه المخالفة التي أعتقد ان الانسان لايمكنه ان يلتذ بشيء من مرموحات النفس الا اذا كثر عدد حاضريها وانهم اذا كانوا اطفالا تكون الاستفادة أعظم . والنفع أتم

ابتدأت التمثيل بعرض أشياء في غاية البساطة كداخل ضيعة او طاحون والمعيشة في سفينة ثم مثلت هذه السفينة في يوم آخر وقد نقلتنا الى بلاد بعيدة كان ابعدها عن اخلاقنا وعوائدنا ادعاها الى اثارة الاستغراب وتهييج الشوق في نفوس النظار الصغار فكانوا يحبون ان يروا بيوتاً بنيت على خلاف طريقتنا في البناء وشوارع وساحات ورحبات عامة فيها رجال ونساء غريبو الازياء والهيئات وكان فيما عرضته عليهم صورة صيد الحيوانات الوحشية خصوصاً اضخمها واضراها كالفيل وفرس البحر والكركدن والاسد والنمر فلم اعدم منهم تحمساً في الدهش والاعجاب بها ثم أريتهم قافلة تجوب الصحراء فشاقهم منظرها كثيراً . ولقد كفتني هذه التجارب في الاقتناع بان في فانوسي السحري عزيمة « ياسمسم انفتحي » (١) واني ان لم استعن به على فتح ابواب المجهولات لاصدقائي الاحداث كنت مخطئة ملومة

يتشوف الاطفال كثيراً الى معرفة كيفية تكوّن الحيوانات والنباتات والصخور وتشوق نفوسهم الى معرفة طريقة نشوء جميع مايشاهدونه كل يوم من ذلك فقد أذنت جماعة النظار جهراً بانها ستمثل على الدوام قصة ذات بهجة وجلال مؤلفة من عدة فصول تسمى تاريخ الارض

استغنت عشية هذا التمثيل بجميع مافي الفانوس من قوة الاستعداد وبصور اعتمدت في رسمها على آراء علماء طبقات الارض من الانكليز وبقليل ماحصلته من العلم بمطالعة الكتب واستقر رأيي على ان أجعل في التمثيل لفواعل الكون وقوى الطبيعة لساناً تفصح به عن الحقائق والحوادث وهو تجوّز يمكن ان يسمح به في قصص الغناء والتلحين الشعري على انه لم يكن المقصود من ذلك قرض الشعر بحال بل كان الغرض منه ايضاح مالم تكشف آثار الضوء والالوان المتنوعة في اظهاره على الحجاب اظهارا تاما بعبارات في غاية السهولة . مثال ذلك ان أقول للنظار : أتدرون ماذا كان يقول

(١) عزيمة سحرية خرافية لفتح الابواب المقفلة ذكرت في كتاب الف ليلة وليلة

المحيط الذي هو أصل الاشياء لما غمر سطح عالم أزهقت روحه مياهه ؟ الحق أقول انى لم أقف على كلامه ولكنى اخال انه كان يدعو الحياة دعاء الانبياء ويسألها أن تزيل الوحشة من اعماقه المظلمة ولججه القاحلة

ولا جرم فقد بدا في أشعة الضوء السحري أقدم ماعرف من أشكال الحيوانات كالاوداميا (١) والنجولا (٢) والاورتوسيراتيت (٣) طاغية البحار السيلورية (٤) والتريبوليت (٥) وغيرها من مخلوقات الكون الاولى التى رسمت صورها اعتماداً على بقاياها الاثرية او على ما انطبع على الصخور من تلك البقايا

ثم تلا ذلك ظهور أول ارض انحسر عنها الماء فهدت على سطحه وكانت طوائف من الجزر . كان يخيل للنظار بواسطة المغالطة البصرية انهم يشاهدون الاعشاب الشجرية تنبت منها وذلك كالسيجيلاريا (٦) والاستجماريا (٧) وغيرها من الشُكل الاصلية للنباتات القديمة ولست انكر ان جميع هذه المناظر هى صور في نهاية الحقارة بالنسبة لما تمثله من المشاهد الكبرى للكون في عصره الاول ولو ان انسانا كان قدر له ان يشهد خلق الاشياء حضر فى معهد تمثيل تلك الصور لما وسعه الا ان يضحك منها لانها ليست الا اشباح لاعب ولكن لايغرب عن ذهن هذا الساخر ان هذا التمثيل انما جعل للاطفال وان القصد منه هو تعليمهم وهو غرض جليل يجب الاغضاء عن حقارة ماتتخذ من الوسائل للوصول اليه .

كان يتلو كل عصر من عصور تاريخ الارض فترة جهالة عمياء وسكوت عام كانت

---

(١) الأوداميا حيوان هلامي من المكونات الاولى توجد آثاره ولا تعرف أخباره

(٢) النجولا حيوان رخو ذو حجارة مخروطية مستطيلة يشمل جنسه عدة أنواع بادت ولم تبق الا آثارها وأعضاء الحركة فى هذا الحيوان توجد في رأسه .

(٣) الاورتوسيراتيت حيوان هلامي رخو يقوم فيه الذراعان مقام الرجلين حجارته ذات فلقتين يشتمل جنسه على عدة أنواع بعضها حائى وبعضها باد فلم يبق الا آثاره

(٤) السيلورية نسبة الى بلاد السيلور وهم أقوام كانوا يقطنون بلاد الغال في بريطانيا العظمى (٥) التريبوليت حيوان رخو حجارته ذات فلقتين

«٦» السيجيلاريا نوع من النباتات البائدة التى لايوجد منها الا آثارها يحتوى على نحو ستين صنفاً ويوجد فى الطبقات الفحمية من الارض «٧» الاستجماريا نوع آخر من تلك النباتات

تدل « كما نبهت النظار اليه » على اشتغال الدهر بعمله البطيء الخفي

ظهر في الفصل الثاني من القصة سلسلة مناظر مختلفة أدّت بحصول بعض الحوادث الكبرى على سطح الارض منها ان جزراً نشأت من الماء وتواصلت فكانت بدايا تكوّن القارات المستقبلة ومنها ان ظهرت نباتات وحيوانات جديدة لم يكن عهدها وجود في العالم الى ذلك الحين . وأخص ما أثار دهش النظار من تلك الحوادث وهاج اعجابهم دور ظهور الزواحف وقد حملني ما رأيته من ذلك على اعتقاد ان بين طفولية الكون وطفولية الخيال مناسبة ومطابقة لما خلته من ارتياح نفوس تلامذتي الصغار لمشاهدة صور تلك المملكة الحيوانية الفانية فاني قدمثلت لهم الليبرانتودون (١) وهو ضفدعة كالثور في الضخامة والاختوزيور (٢) ذو العين الهائلة والبلزيوزيور (٣) الذي عنقه كعنق الثعبان والميغالوزور «٤» فيل الزواحف الذي رأسه كرأس الضب والهيليوزور «٥» ذو الظهر الشائك وصنوف الحيات الطيارة المسماة بالبتروداكتيل التي تشابه ذلك الوحش الخرافي ذا الاجنحة الذي وجهه وجه امرأة وجسمه جسم عقاب واسمه الهاربي فأثارت دهشهم واكبارهم لها بمقادير أجسامها الهائلة وقوة الدفاع فيها ثم تلاشت نوعا بعد نوع كما تتلاشى الاحلام

كان النظار يعتقدون ان جميع هذه المخلوقات كانت عائشة على وجه الارض لاني كنت اؤكد لهم ذلك بذمتي وكان هذا التأكيد مصدر استغراب جديد لهم على انى ما قصدت اضلال احدمنهم ولا التمويه عليه بل قصصت عليهم بالايجاز كيفية معرفتي اياها وبينت لهم ما اضفته من عندي الي ما عرف حق المعرفة من تركيبها وتاريخها ولو ان سائلا منهم سألني عن سبب انمحائها من على وجه الارض لأعضلني سؤاله على اني كنت اجيبه اننا معاشر الموجودات قد زج بنا في محيط الدهر زجّا شديداً والدهر كما تعلم منشأ التقلب وقد وجد في طبائعنا الاستعداد لجميع ما قدر لنا من ضروب تصاريف الحياة واستحالاتها فمهما كان عمر الزواحف القديمة طويلا فلا بد أنها قد مرت بما قدر للكون من النظام العام كما كانت تمر أشباحها الممثلة على الحجاب المعد لقبولها

«١» الليبرانتودون هو نوع من الزواحف البائدة أثبت وجوده العالم الانكليزي المسمى اوين بما عثر عليه من رفاته (٢) الاختوزيور نوع من الضب فني فلم تبق الا رفاته (٣) البلزيوزيور نوع آخر منه «٤» الميغالوزور نوع ثالث منه أضخم من السابقين «٥» الهليوزيور نوع من الزواحف الهائلة وجدت رفاته في أرض انكلترا

آذن الفصل الثالث من القصة بمناظر خلوية اجتهدت في أن أمثل فيها بعض آيات العصر الذي يسميه علماء طبقات الارض فجر حياة الارض الحالية (ايوسين) وظهر بعد الزواحف الضخمة جسام الحيوانات الثديية كالميجاتيريوم (١) الهائل والديناتيريوم (٢) مارد المردة في عصرها والمستودونت (٣) كبير الحيوانات البائدة الصفيقة الجلود وغيرها مما لم أذكره وان كان من أغربها . أحضرها سحر الفانوس فعرضها على الانظار برهة ثم لما رأت ان هذا الكون الذي نعيش فيه لم يخلق لها حتى ما كان منه في حيز الوهم والمغالطة لم تلبث ان لبت دعوة العدم فزالت على التعاقب كما بدت

على ان ما تلا هذه العصور الاولى من الاستحالات والانقلابات في النباتات والحيوانات التي كانت موجودة فيها قد آذن بأن الارض صائرة الى أحوال العصور الحالية فأنشأ الاطفال يتدرجون في الشعور بأنهم في أرض يعرفونها مع ما كان لا يزال يوجد من التباين بين ما فيها وبين ما يعرفونه من أرضهم . كانت تتجلى امامهم غابات تقارب أشجارها أشجار غاباتنا تجول فيها أيل ضخمة الاجسام تعدو ورآها السباع التي لا يزال نسلها يفترس فرائسه الى اليوم في الصحاوى والقفار

لم يكن البرد الى ذلك الحين قد كدر صفاء هذه المشاهد التي كان يسبح فيها ضوء الشمس ممزوجا بحرارتها القوية ولكن في آخر العشية بدت تباشير الثلج فكان لها مناظر محزنة متعاقبة استغنت في ابرازها للعيان بكل ما في فانوسي من قوة الاستعداد ففهم منها النظار ان حيوانات العصور الاولى قد أهلكتها هذه المؤثرات المبيدة أو انها اوت الى أقاليم أخرى أشد حرارة من أقاليمها الاولى وكان صاحب السلطان على هذه الاقاليم الباردة هو الوعل القطبي والفيل ذو الفروة المسمى بالموث . كان يخيل للاطفال ان الارض صائرة الى الفناء وخلتني أطالع في عيون أكثرهم التفاتاً آيات القلق والحيرة ولم أر من الضروري ان أسري عنهم هذا القلق فقد تكفلت بذلك الحوادث — أستغفر الله بل صور الحوادث .

بدت امامهم مغارة تحتها يد الفطرة في سمك الصخور فكانت ملجأ اوت اليه الحيوانات الوحشية كالذب والضبع الذى هو نوع من الكلب وغيرها من النزلاء التي ترجع في نسبها الى أنواع من الحيوانات قد أصبحت اليوم مستأنسة ثم ظهر لهم خلق جديد هو عجيبة الكون ذلك هو الانسان رأوه على ضوء نار أوقدها لنفسه في جانب

(١) نوع من الحيوانات الثديية انقرض وبقيت رفاته (٢) نوع آخر منها ارقى من الفيل توجد رفاته في الارض الرملية والحجرية (٣) نوع من الزواحف البائدة الهائلة

منزل من الارض وهو شبه حي عرف كيف يختطه لنفسه فليت شعري ما هو ذلك الخلق ومن اين هو؟ لاشك ان مثل هذين السؤالين هما من الاسئلة المعضلة التي يحار الانسان في الجواب عنها والمناقشة فيها امام اطفال لاتتسع عقولهم لها على اني لست متثبتة في العلم بالاجابة عنهما من أجل ذلك رأيت من الحزم ان اطفئ فانوسي وأكف عن الخوض فيهما اجابة لطلب العموم كما يقال في اعلانات معاهد التمثيل قد استعد معهدنا لايجاد عدد عظيم من المشاهد ستمثل في قصتنا .

عقدت النية على الاستمرار في دروس التمثيل هذه وعلى ان أحكي لاصدقائي الاحداث بواسطة الفانوس تاريخ الانسان ومغالبته لفواعل الكون وما اتخذه من آلات صيده أو أدوات عمله الاولى ومجاربه الصناعية منذ كانت الصناعة في مهد طفوليتها ثم أبين لهم بعد ذلك بهذه الطريقة عينها ما عرف من المجتمعات القومية والعوائد القديمة وآثار الفنون الاولى فاني أرى انه لاشيء الا ويمكن ان يفهمه الاطفال على شرط اطلاعهم على كل ما نحدثهم به من الاشياء والنزول معهم في التعبير الى الحد الذي تطيقه أذهانهم

لست أغبي عن قيمة صناعة رسم الاشباح ولا أجهل ما تساويه تلك الألاعيب الخيالية ولا خفاء في اني لا أدعي انى اذا استعرضت امام (اميل) بعض صور لما كانت عليه الارض والناس في عصورهم القديمة أكون قد علمته علم الطبقات الارضية أو علم التاريخ واني أعلم أيضاً ان كثيراً من الصور السحرية لاتلبث أن يزول أثرها من أذهان الاطفال كما يزول من حجاب الفانوس ولكن كل هذا لاشيء فيه فحسبي أن يثبت في أذهانهم صورة أو صورتان فان ثم ذلك رجوت لهم في مستقبلهم أن يجتهدوا في تحصيل العلم بأنفسهم من المدرسة الكونية أو من مدارسة الكتب وعلى كل حال فليس الغرض من تعليمهم في الصغر أن يحصلوا العلم وانما الغرض منه ان تبعث فيهم روح الشوق والميل الى المعرفة اهـ

﴿ الاميرة ناظلي هانم وتربية البنات ﴾

لو ان تلك الكاتبة الفرنسوية التي تدعو المسلمين الى ارجاع الدين الى البيوت عرفت صاحبة الدولة الاميرة ناظلي هانم افندي واستعانت بها على ما تريد لرجونا أن تلقى أذناً واعية وجواباً مرضيا فان هذه الاميرة هي أعقل أميرة في أسرة محمد علي الكبير ولها عناية بالشؤن العمومية وقد قالت مرة اننا نحن المسلمين لانجاح لنا الا بالتمسك بالاسلامية . وعسى ان تهتم الاميرة بهذا الامر من نفسها وتستشير أهل العقل والبصيرة في اتخاذ الوسائل لارجاع الدين الى البيوت ليحفظ لها التاريخ بذلك ذكراً خالداً